

تعليمية الأصوات اللغوية - دراسة تأصيلية تاريخية

سليمة شعيب

جامعة الجيلالي اليايس سيدي بلعباس

الملخص:

تبحث فالدراسات الصوتية في خصائص الأصوات ، إذ تعمل على تيسيرها على المتكلم والمتعلم ، ومما لا شك فيه أن هذه دراسة جاءت نتائج التعليم بصفة عامة ، وقد عدت المرحلة الأولى للدراسات الصوتية مرحلة تعليمية ، فقد كانت تهدف إلى تحسين النطق والتدريب على مواقفه ، وهذا ما نجده قديما في الدراسات اللغوية لدى الهنود والعرب ثم تلتهم الدراسات اللسانية عند الغرب في العصر الحديث .

الكلمات المفتاحية: علم الأصوات، التعليمية، اللغة.

للمستوى الصوتي في الدراسات اللغوية وفي التعلم اللغوي أهمية بالغة ، فقد عرفه أحد العلماء قائلا :
" الجانب الصوتي هو نصف اللغة " ¹.

1- عند الهنود : كانت الدراسات اللغوية للغة السنسكريتية عند الهنود القدامى على مستوى عال من التنظيم والدقة ، وقد ألم الهنود بمختلف فروع علم اللغة تناولت دراساتهم الأصوات والاشتقاق والنحو والمعاجم واهتموا بفقهاء اللغة ، وكان الهدف من الدراسة الصوتية عند الهنود هو الحفاظ على نصوص الكتاب المقدس " فيدا " أي كان الهدف غرضا دينيا ، وهو نطق كل كلمة مستعملة في الكتب المقدسة نطقا دقيقا ، وتعليم الناس كيفية ترتيلها في المواقف المعينة .

وقد خصص " بانيني " عدة أحكام على شكل قواعد تمس طريقة النطق والإلقاء فيما يتعلق بقارئ " فيدا " كما قدم بعض النحاة عدة نصائح للقراء حتى يتمكنوا من تصحيح نطقهم وحددوا شروطا لتحسين جودة القراءة تتمثل في :

- صحة أعضاء النطق وسلامة الشفتين .

- صفاء الحنجرة .

- هدوء المزاج .
- عدم الاضراب والمبالغة في النبر والتنغيم .
- التخلص من بعض العادات الكلامية القبيحة² .

درس الهنود علم الأصوات من قبل رغبة في إتقان ترتيل طقوسهم الدينية ، وتجويد أداء كتابهم المقدس الفيدا " veda"

2- عند اليونان :

اهتم فلاسفة اليونان الأصوات فنجد المادة الصوتية عندهم مبثوثة في مقالات أفلاطون وأرسطو ويحسب لهم في هذا الشأن تقسيمهم الأصوات اللغوية إلى أصوات صامتة وأصوات صائتة . وجعلوا للصوائت رموزا خطية عكس اللغات السامية، لكن جل اهتمامهم كان منصبا على الآثار السمعية التي تتركها الأصوات في الأذن في حين أهملوا الدراسة الفيزيولوجية في تشكل مختلف الأصوات .

3- عند العرب :

كان للقدماء من علماء اللغة العربية جهودا قيمة في مجال الدراسات الصوتية ، وجاءت هاته الجهود كلها حفاظا على القرآن الكريم ، كما درسوا مخارج الأصوات وصفاتها بالإضافة إلى وصف أعضاء النطق ، وقد أفردوا أبوابا كاملة في كتبهم عن هذا العلم كالإمام " ابن الجزري " في قوله " لا بأس بتقديم فوائد لا بد من معرفتها لمريد هذا العلم قبل الأخذ فيه كالكلام عن مخارج الحروف وصفاتها ، وكيف ينبغي أن قرأ من التحقيق والحدرد والترتيل والتصحيح والتجويد والوقف والابتداء"³ .

كما أن العرب الفصحاء قديما كانوا ينطقون اللغة العربية على أساس استحسان الألفاظ ذات الجانب الصوتي الحسن ويفضون ما تعذر النطق به ، وقد أولى علماءنا اللغويين أمثال اللغويين أمثال سيبويه وابن جني وغيرهما هذا الجانب اهتماما بالغاً من الدراسة فبحثوا فيه وصنفوا فدرسوا الأصوات اللغوية وصنفوها على أساس المخارج والصفات ، وأفردوا أبوابا مشبعة تغني الباحث في هذا الجانب .

واللغة العربية كانت تحتوي على بعض الكلمات يصعب النطق بها بسبب تجاوز بعض الأصوات المقاربة في المخرج والتكوين وقد عمل علماء اللغة القدامى على استبعاد الكثير من تلك الكلمات مثل : ابن جني "الذي قسم الكلمات الثقيلة إلى ثلاث مجموعات

أ - الكلمات التي تتكون من أصوات مقاربة مثل : { سس - خحك - سح - مجح - جق - أرل } .

ب - الكلمات التي تجتمع فيها حروف الحلق مثل : هلعها ، خالعهن ، أعهد

ج - الكلمات التي تحتوي على حروف كثيرة متنافرة : { مستشزرات }⁴ .

وقد وضع علماء اللغة والبلاغة عدة قواعد للتراكيب الجيدة التي تخلو من الثقل عند التلفظ بها .

وهذا ما نجده اليوم في مجال تعليم اللغة ، إذ تعمل الدراسات اللسانية التطبيقية على تأليف رصيد لغوي يكون الأساس فيه اختيار الألفاظ لغوية ينعدم فيه تنافر مخارج الأصوات في داخل الكلمة ، أو كتضاد صفاتها أو اتحاد مخارجها ، كما تعمل أيضا على تيسير تعلم الألفاظ اللغوية العربية ما يسهل نطقه من مرحلة إلى مرحلة بطريقة تدريجية من السهل إلى الصعب .

وقد تناول القدامى من علماء اللغة العربي أكثر الأصوات دورانا في الكلام ، ومنهم الجاحظ الذي لاحظ أن " الياء واللام والألف والراء " أكثر الأصوات شيوعا في الكلام ويقول في هذا الصدد : " واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب منجملة خطب الناس ورسائلهم ، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شيء على حدة ، علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد "⁵ .

يتبين أن الجاحظ قد اعتمد على منهج واضح للتوصل إلى أكثر الأصوات دورانا على الألسنة وذلك بالاستقصاء والبحث في أقوال الناس ، وهذا يتوافق كثيرا مع النظريات الحديثة التي تقوم بحصر الشائع من الاصوات والمفردات والتراكيب وإعداد المادة التعليمية في ضوء هذا الشيع . وعن عيوب النطق التي تواجه المتعلم تحدث الجاحظ عن كيفية نطق العرب والأجانب للأصوات مع ذكره لبعض عيوب النطق كاللثغة وطرق العلاج المناسبة لها .

ومن الأصوات التي رأى أنها تحدث فيها اللثغة يقول عنها : " هي أربعة أحرف القاف والسين واللام والراء ... فاللثغة التي تعرض للسين تكون تاء لقولهم لأبي يكسوم أبي يكتوم ، وكما يقولون بثة وبثم الله إذا أرادوا بسرة وبسم الله ، والثانية اللثغة التي تعرض للقاف فإن صاحبها يجعل القاف طاء فإذا أراد "قلت له " وإذا أراد أن يقول : " قال لي " قال " طال لي " وأما اللثغة التي تقع في اللام فإن من أهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله اعتلت اعتيت ، وبدل جمل جمى وآخرون يجعلون اللام كافا . . . فإذا أراد أن يقول : " ما العلة في هذا؟

قال : مكعكة في هذا ؟ وأما اللثغة التي تقع في الراء فمنهم من أراد أن يقول " عمرو " وقال عمد فيجعل الراء دالا " ⁶ . كما يرى أن اللثغة قد تكون مؤقتة بالنسبة للأطفال فيقول : " ويكون كاللثغة التي تعتري بعض الصبيان إلى أن ينشؤوا " ⁷ ، ثم يضيف قائلا : " لكن يقال أن صاحب هذه اللثغة لو جهد نفسه و أحد لسانه وتكلف مخرج بعض الحروف على حقها لم يكن بعيدا من أن تجييه الطبيعة ويؤثر فيها أثرا حسنا . . . ويتواصل التطور أن يأخذ المخرج شكله النهائي عندما يبلغ الصبي " .

تحدث الجاحظ عن هذه القضايا مبينا نطق العرب والأجانب للأصوات مع ذكر طريقة العلاج المناسبة لذلك حسبما كان سائدا من معارف عصره ، وفي حديثه عن اللثغة بين كل هذا بالتفصيل فكما أن اللسانيات التطبيقية في القرن العشرين توصي بكثرة التدريب على الأصوات التي توجد فيها صعوبة نطقية كوسيلة من وسائل العلاج تحدث عنها الجاحظ سابقا ككثرة لتمرين والتدريب على نطقها.

وعن مناهج تعليم اللغة العربية كتب في هذا المجال العديد من أهل الاختصاص في اللغة العربية نذكر على سبيل المثال " الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية " لمؤلفه إبراهيم عبدالعليم ، وكتاب الموجز في طرق تدريس اللغة العربية لمؤلفه محمود أحمد السيد " وعقدت مؤتمرات ندوات في أنحاء متفرقة من الوطن العربي تناولت مناهج تعليم اللغة العربية منها :

- المؤتمر التاسع لاتحاد المعلمين العرب في الخرطوم بالسودان في 1976
- ندوة تيسير تعليم العربية بالجزائر سنة 1976.
- ندوة اللغة العربية والوعي القومي التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية بالاشتراك مع الجمع العلمي العراقي ومعهد البحوث ومعهد الدراسات العربية في بغداد في سبتمبر 1983.

- ندوة اللسانيات واللغة العربية التي عقدت في تونس سنة 1978 ، وكان محور هذه الندوة يدور حول اللسانيات وتعليم اللغات⁸ .

- ويعد كتاب : " الأصوات العربية وتعليمها لغير الناطقين بها من الاشدين " لمؤلفه سعد عبدالله الغريبي سنة أول كتاب مختص في تعليم الأصوات صدر سنة 1986 . وكتاب مرشد المعلم في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها سنة 1985 لعبد العزيز حسين ومحمود إسماعيل الصيني ويتناول طرق التدريس مستويات اللغة الأربع من لأصوات ومفردات وتراكيب ولغة .

وتوالى البحوث والدراسات العربية من أجل تطوير أساليب ومناهج تعليم أصوات اللغة العربية لمواكبة مثيلاتها من مناهج تعليم الأصوات اللغوية عند الغرب .

عند الغرب :

ظهرت منذ القرن التاسع عدة محاولات عديدة لربط الفكر اللساني بالتعليمية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، ورغم أن هذه العلاقة لم تكن بجديدة إلا أن الباحثين وعلماء اللغة في الغرب وضعوا أسسا عامة أسسا علمية ومنهجية جديدة لربط اللسانيات بالتعليمية وعن مجال تعليمية الجانب الصوتي ظهرت أول بادرة في هذا الحقل بعض المحاولات قام بها والذي كان حريصا على استثمار أبحاثه الصوتية في تعليم اللغات ، كما ظهرت عدة أعمال في تلك الفترة تتحدث عن تعليمية الأصوات اللغوية منها :

Principes de phonétique expérimentale

والذي صد سنة 1879 ، بالإضافة إلى كتاب Précis de prononciation française

سنة 1902 لمؤلفه " ج ، ب ، روسلو " والذي يعد من أقطاب الدراسات الصوتية التجريبية ، فهو الأول من استعمل الكلام المسجل في تعليم اللغات عن طريق فونوغراف .

وفي إنجلترا ظهرت عدة جهود في هذا الحقل منها أعمال دانيال جونز والذي ألف كتابين في مجال تعليمية اللغة وهما : An outline of english phonetics سنة 1918.

Everyman's english prononcing dictionary سنة 1967

أما في أمريكا فقد ظهرت عصبة غير قليلة بعدة أبحاث في مجال تعليمية اللغات Pierre fries و Bloomfield و dellatre وأصواتها ومن هؤلاء نجد وقد أسهم هؤلاء جميعا في تطوير الأبحاث حول تطوير الأبحاث حول تطوير علم الأصوات وتطبيقه في ترقية طرائق تعليم اللغات⁹. إذ اتبع بلومفيلد في تحليله للجملة منهجا صوريا أرجعها إلى أجزائها الأولية وهي المورفيمات ، كما ميز بين الصيغ الحرة التي يمكن النطق بها كالكلمة ، وبين الصيغ المرتبطة التي لا يمكن النطق بها معزولة كالحرف مثلا يقول بلومفيلد: " اللسانيات بحسب هذا المنظور النموذجي تتكون من دراستين مهمتين : علم الأصوات الذي يدرس الظاهرة اللغوية من دون أن يرجع إلى معناها ، وعلم الدلالة الذي يدرس العلاقة بين الصوت والمعنى "

إن أهمية علم الأصوات في المجال التطبيقي تكمن في تعليم اللغة ، فالدراسات الصوتية وسيلة من وسائل تعلم اللغة تعلمًا صحيحًا ، وقد أسهمت مختلف الحضارات في تطور علم الأصوات لما له من أهمية إذ يعد من الأسس الأولى في تعلم اللغة وساهم العلماء في تذليل الصعوبات في نطق الأصوات ومعالجة عيوب النطق . وكذلك تطوير الأبجديات لمواكبة تطور أصوات اللغة .

¹ - محمود اسماعيل الصيني ، اللسانيات التطبيقية في العالم العربي ، مجلة تقدم اللسانيات في الأقطار العربية ، وقائع ندوة جهوية أبريل 1987 : ص230

² أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند الهنود وأثره على اللغويين العرب ، عالم الكتب ، الطبعة 8 ، ص47

³ ابن الجزري النشر في القراءات العشر ، تحقيق محمد علي الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1998 ص 158

⁴ ينظر ابن جني ، سر صناعة الإعراب تحقيق حسن الهنداوي ، دار القلم ط 1 1985 الجزء الثاني

⁵ الجاحظ البيان والتبيين تح : عبدالسلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ج 1 ص: 32.

⁶ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص38

⁷ المصدر السابق ج 1 ، الصفحة نفسها

⁸ محمود اسماعيل الصيني ، اللسانيات في العالم العربي ، ص: 229

⁹ ينظر أحمد حساني ، اللسانيات التطبيقية حقل تعليمية اللغات ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص: 136